تتمتّع اللغة العربية بغنى مفرداتها إذ يفوق عددها عدد المفردات في اللغات الأجنبية الأخرى و هذا التعدّد المفرداتي أدّى إلى خلق إشكالية وهي صعوبة تحديد معني عدد من المفاهيم ، فاللغة كما هو معلوم أساس التعامل الإنساني وقد درسنا اللغة سابقا و توصّلنا إلى كونها وسيلة للتعبير عن أوضاع وحالات و أفكار محدّدة و المصطلح أو المفردة هي الأساس لقيام اللغة كون اللغة تقوم على مجموعة مفردات اعتباطية ، ومن هنا تأتي أهمية تحديد مفهوم الخطاب عملا بمقولة "فولتير – voltaire" ***فرانسوا ماري فولتير*** *كاتب فرنسي و فيلسوف كتب* المسرحيات والشعر والروايات والمقالات **قبل أن تتحدّث معي ، حدّد مصطلحاتك ».**

إن مصطلح "خطاب "، اسم مشتق من مادة (خ. ط. ب)، وقع اعتماده من طرف الفكر النقدي العربي الحديث ليحمل دلالة المصطلح النقدي الغربي "Discours"، ولإدراك مدلوله في الدراسات العربية القديمة لا بد من الرجوع إلى بعض المعاجم العربية وكتب اللغة والفكر والأدب ، و القرآن الكريم إذ ترددت مادة"خ. ط. ب" في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرّة موزعة على اثنتي عشرة سورة نورد فيما يأتي بعض صيغ ورود المادة "خ. ط. ب" في القرآن الكريم، وبعض الآيات التي تضمنتها:

خَاطَبَهُمْ: وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. 63 ك. الفرقان. 25

تخاطبْني : ولا تُخاطبني في الذين ظلموا. 37ك. هود. 11

خَطْبُكَ: قال فما خطبك يا سامري. 95. ك. طه، 20.

الخِطاَبِ : وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب. . 20. ك، ص، 38

خِطابا : رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا. 37، ك. النبأ، 78.

أ - الخطاب لغة :

الخطاب لغة:خطب: الخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم؛ وقيل: هو سَبَبُ الأمر. يقال: ما خَطْبُك؟ أَي ما أَمْرُكَ؟ وتقول: هذا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير. والخَطْبُ: الأَمر الذي تَقَعُ فيه المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ؛ ومنه قولهم: جَلَّ الخَطْبُ أَي عَظُم الأَمرُ والشأْن، ؛ كما عرفه صاحب القاموس المحيط الفيروز أبادي كالآتي:الخَطْبُ: الشأنُ، والأَمْرُ صَغُرَ أو عظُمَ، ج: خُطُوبٌ. وخَطَبَ الخاطِبُ على المِنْبَرِ خَطَابَةً، بالفتحِ، وخُطْبَةً، بالضمِ، وذلك الكلامُ: خُطْبَةٌ أيضاً، أو هي الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّعُ ونحوهُ. ورجلٌ خطيبٌ: حَسَنُ الخُطْبَة،

ب- الخطاب اصطلاحا:

1- ملامح الخطاب في الفكر اللغوي العربي القديم:

أ - ملامح الخطاب عند سيبويه:

لم يكن كتاب "سيبويه" كتابا خالصا في النحو بل اشتمل على كثير من العلوم اللغوية، ففيه تحليل للخطاب العربي وتأسيس لقواعد كلام العرب، وفيه تناول موضوع القراءات، والتجويد، والأصوات، والنحو والبلاغة، ولقد تحدّث عن مفهوم الكلام بطريقة تقترب مما قال به المعاصرون عن الخطاب الذي يستوجب مراعاة حال المستمعين واختيار اللفظ المناسب، وكل ما من شأنه أن يساعد في عملية التخاطب، وتوصلا إلى ربط المعنى بالسياق" فيقسم الكلام إلى:

-مستقيم حسن: أتيتك أمس.

-المحال: أتيتك غدا.

-المستقيم الكذب: حملت الجبال.

-المستقيم القبيح: قد زيدا رأيت.

إن ما نلاحظه على هذا التقسيم أن الاستقامة تكون في أن يكون الكلام قائما على أساس التأليف والتركيب وبناء المعنى، وصدق ما ورد فيه، ولقد استخدم سيبويه مصطلح الجملة أوسع من الجملة ذاتها، وقاطع مصطلح الكلام الذي يقترب بمفهوم الخطاب، كما نستنتج أن سيبويه يريد ضم مفهوم الكلام بضم بعض الكلمات بطريقة خاصة وصولا إلى المعاني النحوية، مع مراعاة السياق الكلامي دون الفصل بين المعاني النحوية والبلاغية،

ب - ملامح الخطاب عند ابن جني:

يرتبط مصطلح الخطاب بالقناة المؤدية له، وهي اللغة التي عرفها ابن جني (ت 392 ه) على أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فنجد في هذا التعريف أربعة عناصر أساسية ترتبط بالخطاب المعاصر ومن صميم الدراسة اللسانية وتحليل أغراض الخطاب وأقسامه كما وردت عناصره الأربعة في هذا التوزيع:

-طبيعة اللغة حيث إنها أصوات.

-وظيفتها فهي تعبير.

-اجتماعية ومرتبطة بالجماعة اللغوية.

-علاقة نفسية بين الفكر واللغة

- 2- مفهوم الخطاب عند الغربيين :

ساهمت اللسانيات في ظهور كثير من المصطلحات العلمية، أبرزها مصطلح الخطاب الذي انتشر بين أيدي الباحثين المهتمين بأغراضه، وأصبح منهجا للتحليل أكبر من التحليل السابق الذي كان سائدا، وهو منهج تحليل الجملة، ويجدر بنا قبل ولوج عوالم الخطاب وتحديد مفاهيمه أن نقدم مساراته في الدرس اللساني حتى نبين كيف ارتبط هذا المفهوم باللسانيات

أ - الخطاب عند دي سوسير:

رائد اللسانيات فردينان دي سوسير، الذي حدد موضوع اللسانيات بدقة علمية وجعل اللغة موضوعها الجوهري حيث يقول: "إن موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها"، ولقد فرّق كذلك بين ثلاثة مصطلحات أساسية هي: اللسان، اللغة، والكلام، **فاللغة** عند دي سوسير نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة ممارسة الكلام"، أما **اللسان** فهو الذي بواسطته يستطيع الإنسان التعبير عما في فكره ونفسه من خواطر وإحساسات، وأمّا **الكلام** فهو فعل ملموس ونشاط شخصي نستطيع أن نلاحظه من خلال الشفاهة أو الكتابة أو كما يعبر عنه دي سوسير بقوله: "إنه مجموع ما يقوله الأفراد" فالكلام هو إذن ما يعبر عنه الإنسان في حياته، وما يتلفظ به وما يمكن أن ينطقه ويصدر منه من ألفاظ وعبارات قد تعبر عن أحواله الداخلية أو الخارجية ومما نستخلصه من هذه المقارنة، أن الكلام هو ما ينتج عن الفرد الواحد، واللسان ما يكون حاملا لطابع الشمولية والكلية، واللغة ما كانت نتاجا لمجموعة معينة من الأفراد: "الكلام نتاج فردي، واللغة نتاج اجتماعي واللسان نتاج أجيال أو نتاج تراكمات، وجهود جماعية تكون خلاصتها الثبات والاستقرار في الأنظمة والقوانين اللغوية" فالظاهرة اللسانية حسب دي سوسير تشتمل على ثلاثة جوانب أساسية هي: اللسان، اللغة، الكلام.

ب - الخطاب عند جاكبسون: رومان ياكوبسون)، هو عالم لغوي، وناقد أدبي روسي (11 تشرين الأول 1896-18 تموز 1982) من رواد المدرسة الشكلية الروسية. وقد كان أحد أهم علماء اللغة في القرن العشرين وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي للغة والشعر، والفن.صاحي النظر ية التوزيعية.

أهم ما جاء به العالم اللساني رومان جاكبسون نظريته في وظائف اللغة ، وقد توصل إلى أن للغة ست وظائف أساسية ومختلفة تتطلب ستة عناصر وهي على التوالي: **المرسل، المرسل إليه، قناة الاتصال، الرسالة، شفرة الاتصال، والمرجع**، إن هذه العناصر الستة تقوم بدورها بفعل وظائف ستة، فإذا كانت عملية الاتصال تهدف إلى توضيح موقف المرسل من الرسالة اللغوية، كانت الوظيفة تعبيرية، وأما إذا كان الهدف التأثير على المتلقين فإن هذه الوظيفة الإفهامية، وأما إذا كان هدف العملية تقوية الاتصال والصلات الاجتماعية أو لفت انتباه المرسل إليه فهي وظيفة تنبيهية وتسمى الوظيفة الانتباهية، والتي تحافظ على العملية الاتصالية، وتجعلها دائمة ومستمرة، وأما إذا كان الهدف من العملية التواصلية إبراز الرسالة والتركيز على شكلها فتكون بذلك الوظيفة وظيفة شعرية لأنها تبرز شكل الرسالة الإبداعي، أما إذا كان هدف الرسالة هو فك شعرية اللغة أو شرح بعض الكلمات المعجمية فهي وظيفة ما وراء اللغة أو الوظيفة المعجمية، أما إذا كانت الرسالة تركز على ما هو موجود خارجيا، وتحيل على أشياء بعينها فهي بذلك تولد الوظيفة المرجعية.

نستطيع الاستنتاج من كل ما سبق أن رومان جاكسون، استطاع أن يبرز مكامن هذه العملية التواصلية ومناطق قوتها، ويبرز كل ما من شأنه أن يقويها ويفعّلها ويجعلها دائمة ومستمرة .

ج - الخطاب عند تشومسكي:

ظهرت هذه النظرية التوليدية على يد أفرام نعوم تشومسكي وقد عرّف عدة مبادئ في هذه النظرية وهي كما يلي:

- **1اللغة:** هي مجموعة من الجمل لها شكل نطقي خاص "من الآن فصاعدا سأعد اللغة مجموعة من الجمل متناهية أو غير متناهية من الجمل، كل جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر"، فاللغة حسب تشومسكي جمل طولها غير محدود وهي جمل نحوية صحيحة ومقبولة.

- **2الكفاءة:** إن الكفاءة في نظر تشومسكي تكمن في مجموع المعارف المكتسبة والباطنية، ومجموع القواعد المخزنة في ذهنه، فالجميع يملك كفاءة اللغة أو كما عبّر عنها هي: "المعرفة اللغوية الباطنية للفرد أي مجموعة القواعد التي تعلمها" فالكفاءة إذن هي نظام يحكم السلوك الفعلي للإنسان، وهي معرفة الفرد بتواعد اللغة، وأما الأداء فهو الإنجاز لتلك المعرفة.

- **3التوليد والتحويل:** إن التوليد هو القدرة التي يمتلكها الإنسان لتخزين وفهم عدد غير محدود من الجمل، إنها قدرة إبداعية "إننا بإتباع قواعد نحوية يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة، أما التحويل فهو إمكانية المتكلم تحويل البنى العميقة والكامنة للغة إلى بنى سطحية، فتشومسكي يميز بين نوعين من الجمل وهما: الجملة النواة، وهي الجملة الأساسية أو هي البنية العميقة، والجملة المحوّلة التي تكون مركبة ومعقدة، "ووصف الجملة النواة بأنها بسيطة، وتامة، وصريحة، وايجابية، ومبنية للمعلوم، والجملة المحوّلة بأنها تنقصها خاصة من خواص الجملة النواة وتكون إما استفهاما أو أمرا أو نفيا أو معطوفة أو متبعة أو مدمجة" فقد وضح تشومسكي كيف يمكن أن تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحولة التي قد تكون استفهاما أو أمرا، أو نفيا.

- **4البنية السطحية والبنية العميقة:** إن مفهوم البنية السطحية والعميقة هو أن لكل جملة بنية عميقة وأخرى سطحية فأما العميقة فهي جملة العمليات التي يقوم بها الفكر، أي الجملة في مستواها التجريدي الكامن في فكر صاحبها، أمّا البنية السطحية فهي التجليات والتمظهرات البادية في استعمال الإنسان للجملة للتواصل، فالبنية العميقة هي ما هو موجود بالقوة، والبنية السطحية هي ما هو موجود بالفعل وعلى أرض الواقع،

وهو في البحث النقدي "كتلة نطقية لها طابع الفوضى، وحرارة النفس، ورغبة النطق بشيء ليس هو تماما الجملة، ولا هو تماما النص بل هو فعل يريد أن يقول". فالخطاب إذن كيان خاص بنفسه يختلف اختلافا كليا عن الجملة وعن النص وعن القول أو إنه كيان وكينونة متميزة عنهم جميعا، **ومن المحدثين من استعمل كلمة قول دالا على الخطاب**

بالرغم من أنّ القول هو "جميع ما ينطق به اللسان سواء أكان تاما أم ناقصا، مفيدا أو غير مفيد" فقد يكون القول غير مفهوم ومبهم وغير سليم التركيب كالهذيان، ولا يمكن أن نطلق على الهذيان مصطلح خطاب لأننا نفهم من لفظة خطاب أنه متماسك ومترابط وصحيح ومفهوم.

حقيقة تشعبت معاني الخطاب وتفرعت بحسب المدارس اللسانية والتوجهات الفكرية، فالخطاب عند **دي سوسير** هو "مرادف للكلام" أما بالنسبة لأوائل الغربيين الذين حاولوا دراسة هذا المصطلح وتعريفه،فيكاد"يجمع كل المتحدثين عن الخطاب،وتحليل الخطاب على ريادة **ز. هاريس (1952)** في هذا المضمار من خلال بحثه المعنون بـ"تحليل الخطاب"،فهو أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب.

وببقائه ضمن حدود المجال اللساني،عرّف الخطاب بأنه"ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون منغلقة، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجيّة التوزيعيّة، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"

.تعريف بنفنست للخطاب *:*يمكن أن نرصد تعريفا للخطاب حسب بنفنست، بأنه: "كل فعل للقول يفترض متكلما وسامعا، بحيث تكون للأول رغبة التأثير في الثاني وعليه فإن بنفنست من أنصار اللسانيات الوظيفية، إذ يعتبر أن الخطاب يرتكز على وظيفة التبليغ، وإيصال المعلومة إلى الأخر وفي دفاعه عن هذا الطرح، اقترح ثنائية مفاهيمية رئيسة؛ثنائية القول والفعل :فالقول يعني جملة أو متوالية جمل معينة، تعد منتوجا محققا في استقلال كلي عن الذات التي أنجزته، في حين أن فعل القول، "يحيل على نوع من الاستعمال الفردي للسان"، إنه يتحدد كإجراء تملكي للسان، أي أن المتكلم يمتلك ذاتيا الجهاز الصوري للسان لأجل أغراض تواصلية ومن هنا، فمفهوم الخطاب عند بنفنست يمتد ليشمل كل ما له علاقة بالفعل التواصلي، بحيث "يتسع ليشمل كل الأجناس الخطابية. بدءا بالحوار المتبادل اليومي، وانتهاء بالخطبة البليغة، بما في ذلك أيضا الكتابة التي تعيد إنتاج الخطابات الشفوية كالمراسلات والمذكرات والمسرح والكتابات الديداكتيكية...إلخ،

كل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نص ،وإذا ما خرج ليندرج تحت السياقات الاجتماعية سمي خطابا ،فالخطاب إذن يضطلع بمهمة توصيل رسالة، ولذلك يمكن القول :إن للخطاب جذور في اللسانيات ،لكونه يستمد وجوده من ثنائية اللغة والكلام التي قال بها دو سوسير ،وللخطاب كذلك جذور في الأسلوبيات ،سواء من واجهتها القديمة التي تعنى بالبلاغة إلى جانب قواعد اللغة،أو من واجهتها الحداثية التي راعت النظام الصوتي والتركيب المورفولوجي ،والبناء الدلالي،أي الملفوظ الذي يراه اللسانيون نصا، ويراه النقاد خطابا .

وبعد ذلك نجد (د . مانكينو) يؤيد تعريف المدرسة الفرنسية للخطاب حيث تتم المعارضة بين الملفوظ والخطاب : فالملفوظ متتالية من الجمل الموضوعة بين بياضين دلاليين . أما الخطاب فهو الملفوظ المعتبر من وجهة نظر خطابية مشروط بها ، فتكون الدراسة اللسانية لشروط إنتاج النص تجعل منه خطاباً ،

وفي عام 1985 عرّف "موشلر" الخطاب على أنه"الحوار" ثم قام بإجراء تحليلاته للخطاب (الحوار)، وكانت توحي بتأثره بآراء مدرسة بيرفكام التي حصرت الخطاب في "الحوار"، والتي أثرت في تعريفات العديد من اللسانيين الذين يكتبون بالإنجليزية مثال ذلك مايكل هوو في كتابه" حول ظاهر الخطاب" الذي أكد بأنه سيتعامل مع الخطاب باعتباره "المونولوج" شفوياً كان أم كتابيّاً.

فهم عبد السلام المسدي"الخطاب" على انّه الكلام أو المقال، وعدّه "كياناً أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمت أجزاؤه، وقد تولّد عن ذلك تيار يعرّف الملفوظ الأدبي بكونه جهازاً خاصاً من القيم طالما أنه محيط ألسني مستقل بذاته، وهو ما أفضى إلى القول بأن الأثر الأدبي بنيه ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاوراً خاصاً.

وأما" **الخطاب" عند جابر عصفور** فهو" الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاماً متتابعاً تسهم به في نسق كلي متغيّر ومتحد الخواص، أو على نحو يمكن معه أَنْ تتآلف الجمل في خطاب بعينه لتشكّل خطاباً أوسع ينطوي على أكثر من نصٍّ مفرد.